اقرأ
IQRAA
أسبوعية سياسية اجتماعية
POLITICAL & SOCIAL WEEKLY MAGAZINE

السودان :
الوحدة الوطنية تجتاز إختبارها الأول

العدد ٥٤٠ ـ ١٩/١/١٤٠٦هـ ـ ٣/١٠/١٩٨٥م
No.540 - 19.1.1406 — 3.10.1985

الأمير سلطان .. من على منبر الأمم المتحدة :

العدل .. طريق السلام

محمد عبده يماني

لو تفكر ساعة !!

اعتقد والله اعلم ان معظم مصائب الأمة العربية والاسلامية التى هى فيها مردها أساسا الى : فساد وسوء التفكير .. عدم الجدية فى العمل .وانعدام الاستمرارية .

ودعونا نناقش الموضوع الآن بكل موضوعية وبتفكير سليم قد يوصلنا الى أبعاد المشكلة ، ومن ثم الاتفاق على حقيقتها .. حتى يمكن تصور الحلول المنطقية .. والموضوعية .. والممكنة مرحليا لها .. لأنى مسبقا لا أعتقد ان عامل السرعة ذو قيمة أو فعالية بأى شكل من الاشكال كما سنرى ..

فساد وسوء التفكير

ان المتتبع لتاريخ بداية تدهور الأمة يلاحظ ان المسألة فى كل حقب .. وفى كل عهد ومرحلة .. كانت تبدأ بسوء التفكير وفساد الرأى ..

وفساد الرأى .. وسوء التفكير .. عملية خطيرة .. لانها تحجب الرؤى .. وتفسد البيئة .. وتؤدى الى تدهور الوسط الذى تنتشر فيه .. والمشكلة تكمن أساسا ان لها بداية .. ولكن لا أحد يستطيع أن يتكهن بالنهاية التى تقود اليها ..

وفساد الرأى كما يكون فى الأمة والمجتمع .. يكون فى الأسرة .. وفى الفرد .. خصوصا ان اخذنا التعريف البسيط للأسرة .. المكونة من عدد من الأفراد .. والمجتمع الذى يتكون من عدد من الأسر .. وهكذا ..

ولذلك فالأمم المتحضرة والواعية تولى اهتماما خاصا لقضية بناء الفرد .. وتربيته وتكوينه .. وتعطى أهمية كبرى لقضايا التعليم .. وتعنى بقضية التربية فى العملية التعليمية .. وانها ليست مجرد قنوات ووسائل .. للتلقين .. أو الحفظ أو الاستظهار .. ولكنها عملية تربوية أساسية فى تشكيل الفرد .. وصناعته كفرد صالح .. يدرك موقعه ومسئوليته وانه جزء من الأمة .. وتعلمه أهمية الثقافة والتراث والتصرف الحضارى .. وكيفية بناء نفسه واحترام الآخرين .. والتفكير بحرية وبطريقة سليمة .. وهنا حجر الزاوية كما يقولون !!

لأن اختيار المنهج الجيد مهم ..

واختيار المدرس الجيد .. مهم ايضا ..

ولكن الأهم من ذلك .. طبيعة الوسط المدرسى والجو المحيط الذى يحول المدرسة الى مكان صالح للتربية السليمة .. والتفكير السليم .. فى اطار من الحرية .. التى هى عامل أساسى فى بناء الشخصية ..

ومن الناحية الأخرى .. يأتى دور المنزل والتربية المتممة لدور المدرسة .. لأن فساد جو الأسرة ينعكس تلقائيا على بناء الفرد ..

ولا أعنى هنا بفساد الأسرة .. هو انحلال الأب .. أو الأم .. او تفكك الأسرة .. أو حتى انحلالها بكاملها .. فهذه قضايا واضحة وبينة التأثير وليست مجال حديثى هنا .. ولكننى أعنى بها الانحلال فى التفكير التربوى لدى الأسرة .. ودعونى أوضح هذا أكثر ..

فالانحلال فى التفكير التربوى يأتى من إهمال العائلة .. أو المدرسة لقضية .. حرية الأطفال .. والطلاب عموما ، فى التعبير عن أنفسهم وما يصاحب ذلك من قمع أو تعنيف بغرض فرض مبدأ اخلاقى .. أو اقتصادى أو نحو ذلك .. دون ادراك او تحسب لمخاطر هذا النوع من السلوك مع الناشئة وبخاصة الأطفال وما يمكن أن يورثهم من عقد نفسية تحول دون حريتهم فى التفكير .. وتقود بالتالى الى فساد تفكيرهم ..

وهناك أيضا اللامبالاة لدى الأسرة والمجتمع التى تؤدى الى خلق نوع من السلبية لدى الأطفال .. وتقودهم الى التفكير بطريقة عفوية دون محاولة التعمق أو الفهم .. ولهذا يتكون جيل من الانفصاليين .. الذين ورثوا سطحية التفكير .. وليس لديهم القدرة على تحسين

مستواهم الفكرى لمجرد أنهم لا يشعرون بذلك فقد غرست العائلة أو المدرسة فيهم شعورا مدمرا من اللامبالاة .. وعدم العمق أو الجدية .

وهناك أيضا الأمية التربوية .. وهى أن العائلة بكاملها تجهل دور التربية وأهميتها .. وتركز بصورة أساسية على القضايا المظهرية من الكماليات .. وتدفع بالأطفال الى احضان مربيات من مستويات ثقافية ودينية وتربوية متدنية .. فينشأ عند ذلك .. أطفال يعانون من الانفصال عن البيئة من ناحية .. والازدواجية فى البناء التربوى وضحالة القدرة على التفكير .. بسبب المستوى المتدنى الذى يتصلون به ويتعاملون معه من التفكير وغياب المسئولية التربوية فى المنزل .. وكذلك الأمر فى المدرسة عندما تتحول مسئولية مدير المدرسة الى مسئولية ادارية .. ومسئولية المدرس الى مسئولية تدريسية تلقينية لحشو أدمغة الطلاب بأكبر قدر من المعلومات الممكنة فى زمن محدد ..

وهكذا يتكون جيل من الأمة .. تفكيره ضعيف .. وقدراته محدودة .. فاذا تحمل مسئولية .. أو تولى منصبا أو قام بالتعليم والتربية .. أو حتى كوّن عائلة .. علينا أن نتصور النتائج .. والحبل على الجرار كما يقولون فى لبنان الجريح .

الجدية وعدمها فى العمل وانعدام المسئولية

والحق أن النهضة فى أى أمة انما تبدأ .. بالجدية فى العمل بعد مرحلة الادراك .. ومعرفة الأهداف وذلك .. لأن مرحلة العمل هى التى تحدد شكل وأبعاد نهضة الأمة .. فكثير من الأمم أدركت مشاكلها وحددت قضاياها فى النهضة .. وأهدافها الاقتصادية والاجتماعية .. والثقافية .. ولكن المرحلة التالية وهى مرحلة العمل لم تتسم بالجدية والاستمرارية ولذلك كان من نصيبها الفشل .. والتدهور .. لأن التخطيط وحده لا يكفى .. والدراسات مهما كانت مثالية لا تفيد إذا لم يتبعها عمل جاد .. وجهد صادق .. ومتابعة تكفل الاستمرارية ولنأخذ .. مثالا على ذلك من واقع حياتنا الاسلامية فى صدر الاسلام .. ومثال آخر من الحياة المعاصرة وهو النهضة اليابانية الحديثة ..

أما عن المثال الأول .. فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء بالحق المبين .. وهو رسول الله وخاتم النبيين ويعلم تماما صدق الدعوة التى يدعو اليها .. ومتأكد تمام التأكيد من نصر الله عز وجل له .. وانه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .. ومع ذلك حرص عليه الصلاة والسلام على العمل الجاد فى سبيل نشر الدعوة .. ولم يتوان .. ولم يضعف ولم يرتجف .. بل ظل يدعو الله على بصيرة .. وتحمل كل الاذايا والبلايا .. واستمر فى دعوته الى الله عز وجل .. وكان من الممكن ان يعتمد على انها دعوة الله ..

وان الله سيظهرها بقدرته ..

وان الله سيهدى الناس جميعا ..

وانها كلمة حق لا تحتاج الى جهد أو عمل ..

ولكنه .. كان القدوة الحسنة لنا جميعا فقد عمل على نشر الدعوة وجاهد فى سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وبلغ الرسالة بجدية وعمل صادق وشجاع وأدى الأمانة على خير وجه واستمر فى العمل حتى أصبحت كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

واستمر فى نصح الأمة .. وكان القدوة فى العمل وفى الصبر على البلاء .. والاستمرارية دون خوف ولا توانى .

وجاء القرآن ليعلمنا قيمة العمل .. وشرف العمل الجاد .. الذى يرضى عنه الله جل وعلا :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

فالعمل الجاد المشرف .. هو المحصلة .. لأنه نتاج سيراه الله كما رآه رسوله والمؤمنون .. وهنا تأتى قضية الجدية فى العمل ..

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يعمل ويدعو الى العمل الجاد .. ويشارك أصحابه فى العمل .. ويدعوهم اليه ويفهمهم ان خير الرزق أن يأكل الانسان من عرق جبينه ..

وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وانقطع الوحى من السماء ..

ولكن الاسلام مستمر ..

فالدين لله ..

وجاء أبوبكر .. وصرخ بأعلى صوته يطلب الثبات على الدعوة .. وان الدين لله : (من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات .. ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت) ..

واستمر العمل الصادق .. وقد تعلم الدرس من رسول الله .. وراح يعمل .. واتسمت فترة خلافته بالعمل الجاد وثبّت عرى الدعوة .. ووسع مجالات الجهاد .. وجهز الجيوش .. واستمر فى الفتوحات .. وكان قويا فى كل المجالات : (والله لو منعوا عنى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه) ..

هكذا لا يعرف فى الله لومة لائم ..

واستمر خلفاء الرسول على نفس النهج .. ايمان وعمل جاد .. وصادق .. وجهاد فى سبيل الله

وانما بدأ التدهور والضعف والضياع عندما توقف العمل الجاد .. وحل محله اتباع الشهوات .. وضياع المبادىء والمثل ..

فالقضية بدأت بالعمل الجاد الذى وضع أساسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهت القضية .. بضياع العمل .. فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات .. فسوف يلقون غيا » ونستطيع ان نحدد بكل دقة .. الفترة التى بدأ منها التدهور .. بانها فترة غياب العمل الجاد .. وانعدام الاستمرارية .. وعدم تحمل المسئولية .

هذا المثال الأول ..

أما المثال الثانى فهو النهضة اليابانية الحديثة وهى تمثل الارادة القوية .. والجدية فى العمل والقدرة على المتابعة والاستمرارية . فهذه أمة خرجت مهزومة .. محطمة .. بعد حرب طاحنة .. دمرت بعض مناطق اليابان تدميرا ليس له مثيل فى التاريخ .. وأتت على الأخضر واليابس ..

ولكنهم جمعوا أمرهم .. وقدروا العمل الصادق واستعادوا نهضتهم وكانت كلمة السر فى كل القضية .. هى العمل الجاد وبه فى الدرجة الأولى .. وبالارادة الصادقة .. نهضت اليابان .. وهى دولة ليس فيها ثروات معدنية وليس فيها ثروات طبيعية غير عادية وليست غنية جدا ولكن ثروتها وطاقتها .. وقدرتها كانت العمل .. ورجالها يعملون .. ويعملون بجدية ويحترمون العمل .. فأخذوا بيد بلادهم نحو نهضة لفتت انظار العالم بأسره ..

وإذن .. فنحن مدعوون الى العمل .. والعمل الجاد وأن نربى فى أنفسنا وفى ابنائنا حب العمل .. والصبر عليه .. وننمى فيهم القدرة على الاستمرارية .. والمتابعة للوصول الى الهدف ثم الحرص على البقاء .. باستمرار العطاء ..

وعلينا أن لا ننسى فهم التخطيط .. فان افضل خطة فى العالم لا تفيد أى أمة من الأمم .. اذا كانت هذه الأمة لا تعمل وليس فى رجالها قدرة على العمل .. ولا فى أبنائها احترام للعمل لأن الخطة .. أو الخطط تبقى فى النهاية حبرا على ورق ..

وصحيح ان العمل بدون خطة .. عمل لا يضمن له النجاح .. لكن خطة بلا عمل أيضا لا تزيد عن كونها وهما ..

وويل لامة تبنى مستقبلها على وهم .. لأنه « زبد » « أما الزبد فيذهب جفاءا وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

صدق الله العظيم